

دراسة

المرأة المغربية: الشخصية القوية والهمة العالية

إحياء
Ihyaé



حسن بوجعادة



20 يونيو 2021

جميع الحقوق محفوظة © 2021

محاور الدراسة:

تقديم

1- السيدة كنزة: زوجة إدريس الأكبر

2- فاطمة الفهرية

3- زينب النفزاوية

أ- عظمة الرجل من عظمة المرأة

ب- زينب: الأم العظيمة

4- الحرة حواء: سمو الفكر ونباهة العقل

5- الشابة فانو: الشجاعة والثبات

6- للا محلة: الفحلة المراكشية والعالمة النابغة

أ- إنصاف المرأة

ب- هذا هو طموحها

ج- دورها في إصلاح ذات البين

7- زينب بنت يوسف بن عبد المؤمن

8- طبيبة الأطفال: أم عمرو

9- الشاعرة حفصة الركونية

10- سحابة الرحمانية: السفيرة النجبية

11- مسعودة الوزكيتية: صاحبة المبادرات الخيرية

تقديم:

عاشت المرأة في الأنظمة القديمة حالة مزرية وأوضاعاً متردية جعلتها تفقد فيها إنسانيتها وتحرم من أبسط حقوقها، فبعض تلك التشريعات ألحقتها بالحيوان وبعضها الآخر جعلها مصدراً للعنة والشؤم، وبعضهم وصفها بأنها شيطان في صورة إنسان.

وظلت إلى عهد قريب محل جدل بين الفلاسفة، وبين أصحاب الممل والنحل، فكانت أغلب بحوثهم وتساؤلاتهم تمحور حول الأمور التالية:

1- هل للمرأة روح أو ليس لها روح؟

2- إذا كانت لها روح فهل هي روح إنسانية أو روح حيوانية؟

3- وعلى افتراض أنها ذات روح إنسانية، هل وضعها الاجتماعي والإنساني بالنسبة إلى الرجل كوضع الرقيق، أو شيء آخر أرفع قليلاً من الرقيق؟

أما في الإسلام فالمرأة قد تبوأَت منزلة رفيعة وحظيت بمكانة عالية لم تنلها حتى في الأنظمة الحديثة.

فبينما كانت المرأة في المجتمعات الغربية توصف بأقبح الصفات وتوضع على هامش المجتمع كانت المرأة المغربية المسلمة منذ أن بزغ فجر الإسلام في أرض المغرب الأقصى تؤدي أدواراً طلائعية في المجال السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

1- كنزة زوجة إدريس الأكبر:

كانت **السيدة كنزة** زوجة إدريس الأول و بنت إسحاق بن عبد الحميد الأوربي أول امرأة تسطر على جبين التاريخ كفاءة وقدرة المرأة المغربية في التفوق وتحقيق الذات.

لما استشهد المولى إدريس رحمه الله كانت هذه السيدة حاملا في شهرها السابع فقابلت هذا الحدث الأليم بصبر وثبات وأبدت شجاعة أمام رؤساء القبائل الذين أعجبوا برجاحة عقلها ونظرتها الثاقبة، وبقيت تنتظر حتى وضعت مولودها ثم أخرجته ليراه رؤساء القبائل، لتعلن للناس من خلال هذا التصرف أن هذا المولود سيكون امتدادا لأبيه، فيفرح الناس بذلك ويبايعوه فتهداً النفوس وتسد أبواب الفتنة.

وقبل أن يبلغ الحادية عشر من عمره وهي السنة التي تولى فيها مقاليد الحكم أثبتت أن عمل المرأة كمربية لا يقل شأنًا عن عملها في أي مجال آخر، بل وقد يفوق ذلك، كيف لا وقد عملت على تربيته وإعداده كي يصبح فيما بعد حاكم المغرب وأحد أعظم سلاطين المغرب الذي سيرتبط اسمه باسم المدينة التي شيدها: فاس، العاصمة العلمية للمغرب.

فلعبت دور الأم التي يلجأ إليها الابن في أحلك الظروف ودور المستشار، الخبيرة بخفايا الحكم ومجال السلطة، فحكم المغرب بنصائحها وتوجيهاتها الرشيدة.

2- فاطمة الفهرية:

وكما كان للمرأة المغربية الدور الريادي في العمل السياسي من خلال شخصية كثره أثبتت كذلك أنها يمكن أن تكون رائدة العمل التطوعي، وهذه الميزة الخاصة تجلت بوضوح في شخصية **السيدة فاطمة الفهرية**.

بعد أن ورثت هذه السيدة مالا عن أبيها وزوجها انصرفت همتها إلى بناء وتجديد مسجد القيروان.

وكي يكون عملها خالصا وخاليا من أي شبهة، حرصت على ألا تدخل فيه من تراب غيره، فتم حفر بناء في الصحن، فكان البنائون يسقون منها الماء لبناء هذا المسجد.

ولم يكن دور المسجد يقتصر على أداء الصلوات الخمس بل كان يمثل كذلك تهية الجو المناسب لتعليم الأجيال القادمة وترسيخ القيم الأخلاقية والمثل العليا التي توجه المجتمع نحو الطريق الصحيح.

لقد بقي مسجد القرويين مدة اثني عشر قرنا يمثل معلمة تاريخية وجامعة الإسلامية تخرج منها العلماء والفقهاء كانوا نبراسا استضاءت بهم الدولة المغربية.

ويحق لنا بعد هذا كله أن نقول أن أول من أرسى دعائم هذا المشروع الفكري والحضاري المرأة المغربية التي أرادت أن يكون لها قصب السبق في هذا الإنجاز.

3- زينب النفزاوية: صاحبة العقل الرصين والرأي المتين

لقد تحدث المؤرخون عن عظمة المرابطين واستفاضوا في ذكر إنجازاتهم في مجال العمران والأدب وفي شتى المجالات، لكنهم في نفس الوقت أغفلوا دور المرأة المرابطية في بناء هذه الحضارة وترسيخ أسسها.

قد آمن المرابطون بدايةً بأن أي عمل إنساني كي يعطي مردوديته لا بد وأن يكون مشتركاً بين الرجل والمرأة، لذلك اعترفوا بدورها وكفاءتها في شتى المجالات وهو ما سيساعد نساء كثيرات على إبراز مواهبهن وإثبات ذواتهن في مجالات كثيرة.

أ- عظمة الرجل من عظمة المرأة:

الشائع لدى الناس أن ما يميز المرأة ويجعلها تتصدر المجالس هو جمالها وأناقته. وفي هذه الحالة تكون أشبه بالدمية التي تزين المجالس ولا يغني جمال جسدها عن فراغها العقلي والروحي.

لكن **زينب النفزاوية** جمعت بين الاثنين: جمال المرأة الذي لا يمكن تجاهله وجمال العقل الذي يجعلها متفوقة في مجالات شتى، فكانت تدعى "بالمساحرة". قال ابن خلدون: " كانت إحدى نساء العالم المشهورات بالجمال والرياسة"¹ كانت واسطة العقد في مجتمع يقر بدور المرأة وكفاءتها، وإن تسأل عنها المؤرخين يصفونها بعبارة مختصرة تدل على شخصيتها:

¹ شهاب الدين أبو العباس أحمد الناصري - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى - الجزء: 2
/الصفحة: 15

"كانت ذات عقل رصين ورأي متين ودراية بالأمور كلها".²

كانت زينب قد تزوجت بأحد وجهاء مدينة أغمات وبعد طلاقها تزوجها لقوط المغراوي، وبعد أن دخل المرابطون مدينة أغمات تزوجت بأبي بكر بن عمر اللمتوني أكبر قادة المرابطين، لذلك فقد كانت خبيرة بأحوال الملك وشؤون السياسة، ولما تزوجها يوسف بن تاشفين رفعت من سقف طموحاتها" فبسطت آماله، وأصلحت أحواله، وأعطته الأموال الغزيرة، فأركب الرجال الكثيرة، وجمع له القبائل العظيمة، وجند الأجناد، وأخذ في جمع الجيوش والاحتشاد، وذلك بنفسه وبتدبير زوجته زينب، ومن أنه قال يوما لزوجته هذه: "والله لا أخالفك في أمر تشيرين به أبدا".

لقد "كانت أحب ما لديه، فكانت امرأة غالبية عليه ليس يكون ولا كان أمره إلا أمرها وكان يقول عنها: إنما فتحت البلاد برأيها".³

كانت بالنسبة ليوسف ابن تاشفين كما قيل عنها عنوان سعيه والمدبرة لأمره والفاتحة عليه بحسن سياستها لأكثر بلاد المغرب الأقصى.⁴

"كَانَتْ حَازِمَةً لَيَبِيَّةَ ذَاتِ عَقْلِ رَاصِنٍ وَرَأْيٍ مَتِينٍ وَمَعْرِفَةٍ بِإِدَارَةِ الْأُمُورِ".⁵

وعندما تصل المرأة لهذه المنزلة وتتبوأ هذه المكانة فحق للمجتمع بأكمله أن يعترف بفضلها ويأخذ بمشورتها، فيوسف بن تاشفين الذي بلغت شهرته الآفاق وتحدث الكل عن علمه وحلمه وشجاعته شرقا وغربا وكتب المؤرخون اسمه في

² نفس المرجع - الجزء: 2 - الصفحة: 20

³ محمد الصالح العمراني بنخلدون - سبع سيدات مراكشيات باستحقاق. الصفحات: 25-26-27-28

الناشر: جريدة الآفاق المغربية - الطبع: وليلي للطباعة والنشر الطبعة الأولى 2009

⁴ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى - (ج 2 / ص 20)

⁵ نفس المرجع. (ج 2 / ص 23)

لائحة العظماء يعلن أن عظمته من عظمة زينب، فيعترف بفضلها ودورها فيما حققه من إنجاز حينما قال: "إنما فتحت البلاد برأيها". ولا تعجب بعد ذلك من مكانتها عنده " فقد كانت أحب ما لديه، فكانت غالبية عليه، ليس يكون ولا كان أمره إلا أمرها".

ب- زينب: الأم العظيمة

إذا رأيت المرأة في موضع الزوجة الصالحة التي تعين زوجها على المهام الصعبة وتسانده في أحلك الظروف فتثبت عن جدارة واستحقاق أنها سنده في هذه الحياة ورفيقة دربه، فاعلم أنك أمام المدرسة التي يتعلم فيها الأطفال ما يجعلهم رجالا صالحين في المستقبل.

فزينب التي ساندت زوجها ودعمته بكل ما لديها إلى أن وصل إلى المنزلة التي وصل إليها هي أم أحد أكبر قادة المرابطين: أبو طاهر المعز لدين الله.

تربى في كنفها واقتدى بها فكان حليما، لبيبا طموحا مثل أمه.

ولما أظهر ما لديه من خلال الشجاعة والإقدام والعقل أوكل إليه والده مجموعة من المهام:

- عينه والده بداية وليا للعهد وجعله أميرا على مدينة سبته.
- كلفه بمهمة الإشراف على تجهيز الأسطول الذي عبر عليه جيش المرابطين إلى الأندلس في معركة الزلاقة.
- جعله خليفة له على بلاد المغرب لما عبر المرابطون البحر في اتجاه الأندلس.

وقدر الله أن يمرض المعز لدين الله ويموت في تلك الأيام فاضطر يوسف بن تاشفين للرجوع إلى بلاد المغرب لما علم بالخبر.

وفي سنة 464 هجرية ماتت زينب كما تموت غيرها من العظيمات اللواتي ساهمن في تغيير مسار الأحداث.

4- الحرة حواء: سمو الفكر ونباهة العقل

عندما تبرز شخصية المرأة في السياسة تراها خبيرة بأمور الحكم، تجيد الحديث في حضرة الحكام بما يدل على رجاحة عقلها وحصافة رأيها.

أما في مجال الأدب فتراها تتحدث بما يدل على رقي فكرها وسمو روحها ونباهة عقلها.

قد يبدو الأديب ذلك الإنسان الذي لا يعبر سوى عن همومه من خلال اعتماد لغة لا يفهمها إلا خاصة الناس، لكنه في حقيقته يتواصل مع المجتمع بأسلوب راق كأنه يدعوهم كي يرتقوا في لغتهم وأخلاقهم.

فبينما كانت السيدة زينب النفزاوية تعين زوجها في تدبير الحكم برجاحة عقلها وسداد رأيها كانت **السيدة الحرة حواء**، زوجة سير بن أبي بكر، وهو أحد قادات المرابطين، تعقد الجلسات الأدبية التي يحضرها الأدباء والفلاسفة كابن قصيرة وابن طفيل وغيرهم.

كانت السيدة الحرة حواء بنت تاشفين وهو أخو يوسف بن تاشفين، تزوجت بسير بن أبي بكر، وقد كان وزيراً ليوسف بن تاشفين وأحد المقربين إليه، الذين استعان بهم في فتح الأندلس وإسقاط ملوك الطوائف.

وقد توفر لدى السيدة الحرة حواء من الوسائل والأساليب ما يجعلها تعيش حياة البذخ حيث ينساق الإنسان وراء ملذات الحياة الدنيا إلا أنها اختارت مجالس الأدب.

لم تغريها قصور إشبيلية حين كان زوجها واليا عليها ولم تفتخر بأصولها للمتونة وبانتمائها للأسرة الحاكمة.

فضلت مجالس الأدب حيث يسمو الإنسان بفكره ويحلق عاليا في فضاء الكلمة المعبرة.

ولما توفي زوجها سير بن أبي بكر رفضت أن ترجع إلى مقر الإمارة بإشبيلية وفضلت أن تبقى بمراكش حيث استأنفت نشاطها الأدبي بإقامة الجلسات الأدبية التي كان يحضرها الفيلسوف مالك بن وهب والأديب ابن قصيرة وغيرهما من الأدباء والفقهاء.⁶

وبقيت الحرة حواء صوتا أدبيا يعطر أجواء مراكش ويزين مجالس العلم فيها حتى تزوجت بالأمير تميم، شقيق أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين فغادرت مراكش على مضى برفقة زوجها لكن الأدب سيظل اللغة الراقية التي يتواصل بها الأديب مع الناس وإن غاب عن أنظارهم أو رحل عن دنياهم.

5- الشابة فانو: الشجاعة والثبات

لما حاصر الموحدون مدينة مراكش لم تكن المرأة المرابطية أقل شجاعة من الرجال في الدفاع عن مراكش.

وطالت مدة الحصار وكاد سكان مراكش يموتون جوعا، فاستسلم بعض الناس وانضم آخرون إلى صفوف الموحدين، في حين بقيت الشابة المرابطية **فانو بنت**

⁶ د. عصمت عبد اللطيف دندش. أضواء جديدة على المرابطين. الصفحة: 175

الوزير عمر صامدة ومستميتة في الدفاع عن مراكش ضاربة بذلك أروع الأمثلة في التضحية والوفاء والصمود والثبات على المبدأ. وبقية تقاوت حتى الرمق الأخير، وبمقتل هذه البطلة تسقط مراكش في يدي الموحدين الذين أعجبوا بشجاعته وبسالته. ولتعلن أن المرأة المرابطية تعيش عزيزة وتموت شهيدة: علو في الحياة وعلو في الممات.

6- للا محلة: الفحلة المراكشية والعالمة النابغة

أ- إنصاف المرأة:

في مدينة مراكش وعلى بعد بضع خطوات من دخولك من "باب أيلان" تجد على يسارك ضريح إمام المالكية وقدوتهم: القاضي عياض، داخل الضريح تجد قبرا لامرأة تدعى **للا ملحمة**.

في هذه الأزقة بجانب الضريح عندما تسأل عن هذه السيدة: يجيبونك بأنها كانت امرأة سالحة، ويبدوون في سرد كراماتها وذكر مناقبها التي تشبه الأساطير نوعا ما، بل إن بعضهم يزور القبر رجاء البركة من هذه السيدة.

والظاهر أنهم يجهلون حقيقة هذه السيدة العالمية، وحتى المصادر التاريخية التي ذكرت هذه السيدة نادرة جدا.

ومن باب إنصاف هذه العالمية التي استحققت اسم الفحلة المراكشية نبرز شخصيتها ونذكر سيرتها.

وحري بكل امرأة مغربية وخاصة تلك التي جرفها تيار التغريب والاستلاب ونسيت دورها التربوي وواجبها التعليمي، حري بها أن تقتدي بهذه السيدة، في زمن صارت فيه الممثلة والراقصة وعارضة الأزياء هن القدوة لدى كثير من الفتيات والنساء.

ولنقف لحظة عند تلك المصادر التي تطرقت إلى جوانب مشرقة من شخصية هذه الفاضلة.

إن وجود قبر هذه السيدة بجانب قبر القاضي وهو أحد أعلام مراكش السبعة ليس محل صدفة كما تشير إلى ذلك الدراسات التي تناولت شخصيتها رغم عدم وجود أي قرابة بينهما.

ب- هذا هو طموحها:

"كانت ابنة لكبار التجار بمدينة مراكش... تقدم لخطبتها العديد من أبناء المدينة، إلا أنها كانت ترفضهم جميعا وتصر على الامتناع عن الزواج أصلا".⁷

هل كانت ترفضهم بسبب أوضاعهم المادية وظرفهم المعيشة؟

أم أن هناك أمورا أخرى كانت تشغل بالها وتفكيرها هي أهم من الزواج؟

هذه الحقيقة ستظهر جليا عندما يتصل والدها بالقاضي عياض ويشكو له حالة ابنته، طالبا منه في نفس الوقت مشورته في هذا الموضوع.

⁷ ملكة الوالي العلمي: الصالحات المراكشيات الصفحة: 78 - الطبع: المطبعة والوراقة الوطنية،

وعندها طلب القاضي من التاجر أن يسأل ابنته عن سبب عزوفها عن الزواج،
سيبتين بعد ذلك أنها ترغب في حفظ القرآن ودراسة الفقه والحديث.
وهو الأمر الذي كان يشغلها عن موضوع الزواج.

"اتصل الوالد من جديد بالقاضي عياض طالبا منه المساعدة في تنفيذ رغبة
ابنته... فاختر لها القاضي عياض واحدا من بين أنجب تلامذته لكي يقدم لها
دروسا ويسهر على تحفيظها القرآن...وفي وقت قصير ستتمكن محلة من حفظ
كتاب الله وأحاديث نبيه، وتتفوق في التفسير إلى درجة أنها أصبحت من أنبغ
وأنجب نساء مراكش فاشتهر أمرها، وعرفت بين الناس بعلمها ونبوغها".⁸

ج- دورها في إصلاح ذات البين:

لم تتوقف همتها عند حفظ القرآن وتفسيرها بل انصرفت همتها كذلك إلى نفع
الناس عملا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: أفضل الناس أنفعهم للناس"،
فكانت تتوسط في حل مشاكل الناس وإصلاح ذات البين بينهم، لذلك سموها
ببلا محلة.

ومما يروى عنها أنها كانت تساعد القاضي عياض في القضايا التي كانت تعرض
عليه في المحكمة.

"بعد وفاتها وبناء على رغبة القاضي عياض سيتم دفنها بالقرب من ضريحه"

7- زينب بنت يوسف بن عبد المؤمن:

ظهر الموحدون في بداية أمرهم كمتمردين وثائرين على المرابطين.

وستظهر غلظتهم وشدة بأسهم عندما حاصروا مدينة مراکش ومنعوا دخول المؤونة إليها حتى هلك بعض السكان من الجوع واستسلم البعض الآخر وتحالف آخرون مع الموحيدين.

لكن الموحيدين لما أخذوا زمام الأمور تخلوا عن القسوة والغلظة التي طبعت أعمالهم مثل باقي الحكام المتغلبين الذين يذكرهم التاريخ.

وسرعان ما سيهتمون بالمدينة التي اتخذوها عاصمة لهم وتنصرف همتهم إلى البناء والتشييد.

ولما استتب الأمن وعم الرخاء صارت مراکش قبلة علماء الأندلس، فازدهرت التجارة وانتعش الأدب وازدهر الطب والفلسفة، فعادت مراکش إلى سابق عهدها وسالف مجدها.

وفي مسرح الأحداث تظهر المرأة المراكشية لتثبت كفاءتها في العديد من المجالات، وخاصة في عهد يوسف بن عبد المؤمن، الخليفة الذي أحب العلماء والفلاسفة وقربهم إليه، حتى أنه خص مجلسه للمناظرات التي كانت تعقد بينهم.

وكان من ثمرة اهتمام الخليفة بالعلماء ظهور امرأة عالمة أبهرت علماء عصرها حظيت بمكانة عند أهل زمانها: إنها العالمة "**زينب بنت يوسف بن عبد المؤمن**".

فبعد أن أخذت حظا وافرا من العلم والأدب اهتمت بدراسة علم الأصول وعلم الكلام وعلم الدين فاكتملت مكانة عند رواد الفكر الإسلامي أنذاك: الفيلسوف

الكبير ابن طفيل والطبيب والفيلسوف ابن رشد الحفيد والطبيب العبقري عبد الملك ابن زهر.

8- طبيبة الأطفال أم عمرو:

وفي نفس الحقبة وفي نفس المدينة ستظهر امرأة أخرى برعت في مجال الطب وتفوقت فيه حتى صارت مختصة في مداواة النساء والأطفال: إنها **الطبيبة أم عمرو** طبيبة النساء والأطفال في عهد المنصور الموحيدي.

إن خبرة هذه المرأة ودرايتها بمجال الطب راجع بالأساس إلى نشأتها في بيت اشتهر أهله بالطب وكان لهم عظيم الأثر على الطب الأوروبي، وكان سيد هذه الأسرة هو الطبيب البارع زهر بن عبد الملك جد الطبيبة أم عمرو.

وستتمكن بفضل نشأتها في كنف هذه الأسرة من التطلع في مجال الطب وسبر أغواره حتى غدت تستفتى في الطب.

9- الشاعرة حفصة الركونية:

إن كان جمال المرأة وأناقته هو ما يميز المرأة في المجتمعات الغربية فإن جمال المرأة في عهد الموحيدين سيتجلى في ذكائها وفصاحتها وأسلوبها البليغ، وهذا ما كانت تتميز به **حفصة الركونية**، الشاعرة التي جمعت بين سلاسة اللفظ وقوة المعنى، وتلك هي علامة الشاعرة ذات الحس المرهف.

فمن أشعارها التي جعلت الدارسين والمهتمين بمجال الشعر يهتمون بسيرتها:

ثنائي على الثنايا لأنني _____ أقول على علم وأنطق عن خبر

وأَنصَفها لا أَكذب الله أَننــــي رشفت بها ريقا أَلذ من الخمر⁹
وفصاحتها وبلاغتها ستمكنها من إتقان العمل الدبلوماسي حسن لقاء الملوك
والسلاطين والتحدث في حضرتهم.

10- سحابة الرحمانية: السفيرة النجبية

أ- زوجة أشهر سلاطين السعديين:

تنحدر من قبيلة الرحامنة، القبيلة التي كانت دائما على صلة بحكام المغرب،
وقد شاء الله أن تكون زوجة لأحد سلاطين الدولة السعدية ليتبين للمهتمين
بالتاريخ أن رجاحة عقل المرأة وبعد نظرها وسياستها الحكيمة لا ترتبط بزمان
ولا بمكان.

كان محمد الشيخ لما تولى حكم المغرب قد عقد صلحا مع أخيه احمد الأعرج
وشن هجوما على البرتغال فطردهم من حصن سانتا كروز (وهي أكادير) وتنازلوا
له عن آسفي وأزمور، وقرب إليه الزوايا وأغدق عليهم بالهبات والهدايا.

في تلك الفترة أرسل السلطان العثماني سليم بن سليمان القانوني رسالة إلى
محمد الشيخ يدعوه لعقد تحالف بينهما. غير أن محمد الشيخ استهان
بالسلطان العثماني ورد على رسالته بأسلوب لا يخلو من الإهانة والاستخفاف.

⁹ المصطفى حمزة: مغربيات حفل بهن التاريخ
الجزء الأول: 28 - الطبع: I M B H آسفي - الطبعة الأولى

لما وردت الرسالة على السلطان العثماني أراد أن يهاجم محمدا الشيخ بجيش كبير لكن مستشاريه ووزراءه نصحوه ألا يدخل في حرب هو في غنى عنها وأن يرسل من يقتله ويأتي برأسه.

تكلف بهذه المهمة مجموعة من الجنود الذين لجأوا إلى محمد الشيخ وادعوا أنهم جنود جزائريون هربوا من ظلم العثمانيين.

استقبلهم محمد الشيخ ووثق بهم حتى أصبحوا من حرسه الخاص. ولما خرج في أحد الأيام إلى الصيد برفقة هؤلاء الجنود المتنكرين انتظروا حتى إذا كانوا بمكان في الجبل قتلوه وقطعوا رأسه وحملوه إلى السلطان العثماني، أما جثته فقد حملت إلى مراكش حيث سيدفن في مقبرة السعديين.

ب- أزمة الصراع حول الحكم:

لما قتل محمد الشيخ بايع أهل مراكش ابنه عبد الله الغالب وقد كان خليفة أبيه بفاس فكثرت الاغتيالات في الأسرة الحاكمة وتمكن أخواه عبد الملك وأحمد من الفرار.

وإزاء هذه الأحداث لم تقف السيدة سحابة مكتوفة الأيدي، فقد أرسلت ابنها إلى الدول الأوروبية حيث سيتقرب إلى أمرائها ووزرائها فاكسب خبرة في المجال السياسي وأتقن بعض اللغات كالبرتغالية والإسبانية أما اللغة التركية فكان يتحدث بها كالناطقين بها.

في سنة 981 هجرية توفي عبد الله الغالب فتولى الحكم بعده ابنه محمد المتوكل، فكان هذا الأخير متكبرا، مستهترا بأمر الحكم.

واستطاع عبد الملك بعد عودته أن يكون أنصارا ويكسب ثقتهم، فتمكن من الدخول إلى مراكش وطرد محمد المتوكل، فلجأ هذا الأخير إلى ملك البرتغال

دون سيبيستيان" فاستنجد به وطلب مساعدته لاسترجاع ملكه، فوافق هذا ملك البرتغال على ذلك مقابل أن يتنازل له عن الشواطئ المغربية.

ج- السفارة الناجحة:

في ظل هذه الوضعية، التي اتسمت بعدم الاستقرار والصراع حول الحكم، ستقوم السيدة "سحابة" بدور بارز يعيد للمغرب هيئته ومكانته ضمن الدول القوية في العالم.

فماذا فعلت هذه السيدة؟

لما انتصر الجيش العثماني على الجيش الإسباني كلف عبد الملك أمه "سحابة" لتحمل هذه البشارة إلى السلطان العثماني.

بلغت سحابة الرحمانية الرسالة للسلطان العثماني والتمست منه أن يعطيها في بشارتها أمره لأهل الجزائر بالذهاب معها إلى المغرب.

استجاب السلطان العثماني لالتماسها وأعطاهَا ذَلِكَ فجَاء عبد الملك مَعَ أمه يَكْتَابُ السُّلْطَانَ إِلَى أهل الجزائر يَأْمُرُهُم بِالمُسِيرِ مَعَهُ لِتَمْلِكَ مَا كَانَ بِيَدِ آبَائِهِ

لما رجعت السيدة "سحابة" توجهت مع ابنها إلى قائد الجيش الجزائري وسلمته كتابا من السلطان العثماني.

لما علم قائد الجيش بمضمون الكتاب استجاب فوراً لأمر السلطان وجعل الجيش تحت تصرف السلطان عبد الملك الذي توجه بدوره إلى المغرب.

"بتلك السفارة - التي قامت بها السفيرة النجيبة الناجحة سحابة الرحمانية بين دولة السعديين المغربية التي جعلت من تعزيز الذاتية المغربية سندا للوحدة الإسلامية وبين دولة الخلافة العثمانية التي اقتنعت بصواب هذا الاختيار -

تحقق للمغرب ما قرت به عين الأمة أشرس جمعاء من انتصار في معركة وادي المخازن على واحد من أشرس أوائل أعاصير الاستعمار الغربي الصليبي الحديث¹⁰.

لقد ساهمت السيدة "سحابة الرحمانية": السفيرة النجيبة في جمع شتات الأمة ودحض العدو وتحقيق الانتصار العظيم في وادي المخازن، انتصار أبهر العالم وأعاد للمغرب هيبتة ومكانته بين سائر الدول.

11- مسعودة الوزكيتية: صاحبة المبادرات الخيرية

إذا كانت كثرة الأسماء دليلا على شرف المسمى، فإن **السيدة مسعودة الوزكيتية** قد حازت هذا الشرف.

تعرف عند عامة الناس بلا لا عودة السعدية أو لا لا ملوك السعديين، عرفت عند المؤرخين بمسعودة الوزكيتية: زوجة محمد الشيخ السعدي وأم أحمد المنصور الذهبي، واسطة عقد السعديين وصانعي أمجادهم في معركة وادي المخازن.

قد تكون المرأة في منطقة نائية معزولة عن الحضارة، فيهبها الله من الصفات ما يجعل طريقها إلى قصور الملوك والسلطين معبدا.

كان محمد الشيخ السعدي قد سمع عن حسنها وجمالها، فاتخذها زوجة لتكون أول زوجة ملوك السعديين.

¹⁰ سبع سيدات مراكشيات باستحقاق محمد الصلاح العمراني بنخلدون الطبعة الأولى 2009 ص:



ولم تمض سوى مدة قصيرة حتى قتل محمد الشيخ، لتعيش بعد ذلك مرحلة حرجة من تاريخ المغرب تمثلت في النزاع على الحكم والاغتيالات السياسية.

غير أن محنتها تلك ستنتهي بانتصار المغاربة في وادي المخازن وتتويج ابنها أحمد المنصور لتنعم بالعيش معه.

كانت السيدة مسعودة الوزكيتية عونا لابنها في تدبير الحكم براجحة عقلها وسداد رأيها.

كانت تقضي جل وقتها في قضاء حوائج الناس، فكانت تطعم الجائعين وتتكفل بالأرامل واليتامى وتعين الشباب على الزواج وتخفف معاناة الناس، كما أنشأت القناطر وأصلحت الطرق وبنيت المساجد، ولات زال مسجد باب دكالة بتصميمه الرائع وعظمة بنائه شاهد على سخاء هذه السيدة وحبها للإنفاق.

إحياء
للتنمية الأخلاقية



Ihyaee
Ethics Development



/ihyaeForum

جميع الحقوق محفوظة © 2021